عرض كتاب:

(نصف العالم الآسيوي الجديد)

للمؤلف كيشو محبوباني

صدر عن المركز القومي للترجمة في القاهرة العام ٢٠٠٩ كتاب بعنوان "نصف العالم الآسيوي الجد يد" للمؤلف والدبلوماسي السنغافوري "كيشور محبوباني" والذي يعمل الآن عميداً لمعهد "لي كوان يو" للسياسات العامة التابع لجامعة سنغافورة، وكان قبلها دبلوماسياً تقلد مناصب كثيرة، كان اخرها ممثلاً لبلاده في الامم المتحدة، ويعد من أشهر الدبلوماسيين الآسيويين واكثر هم اطلاعاً على ثقافة الغرب، ومكنته دراسته السا بقة للفلسفة والتاريخ من الالمام بأدوات للفهم والتحليل المستقبلي لواقع النهضة والحداثة المتنامية.

وهذا الكتاب ونتيجة لآهمية الافكار المطورحة فيه اشترك في اخراجه نخبة من المتخصصين وتمت ترجمته بقلم الاستاذ "سمير كُويم" وتقديم الاستاذ "محمود محي الدين" وهو اقتصادي وسياسي مصري واستاذ مادة الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ويشغل منصب وزير الاستثمار وتمت المراجعة بقلم الاستاذة "غادة وحيد"، والكتاب من الحجم الكبير يقع في نحو ٣٨٥ صفحة.

يتناول هذا الكتاب بشكل عام اسباب نهضة قارة آسيا بالتركيز على بعض الدول المهمة كالصين والهند، وكيف ستؤدي هذه النهضة الى تغيير العالم مثلما ادى صعود الغرب فيما مضى، واسباب عدم رغبة الغرب واحتفائها بنهضة آسيا والصعوبات التي سيواجهها الغرب في التكيف مع هذه المتغيرات، كما يقد م الكتاب بعض السيناريوهات والمقترحات البناءة لادارة التحديات العالمية الجديدة.

احتوى الكتاب على ستة فصول اساسية تسرد لنا وفق رؤيا وتحليل رصين الاسباب الرئيسة لصعود آسيا ونهضتها المتسارعة مما سيكون له نتائج إيجابية على المستوى العالمي اذ ستؤدي هذه النهضة ال ى سحب ملايين البشر من القاع ممن يعانون الفقر.

فقد ادى التطور الاقتصادي الصيني الى انخفاض عدد الصينيين الذين يعيشون في فقر مدقع كما احدث نمو الهند اثراً مماثلاً، فالكاتب يرى منذ نصف قرن مضى لم يكن هناك سوى اثنين من المجتمعات الحديثة في آسيا اي في اقصى الشرق واقصى الغرب هما اليابان واسرائيل وفيما بينهما رقعة جغرافية واسعة غير مكترثة بالتحديث والنمو، الا ان النموذج الياباني العملاق كان الحافز الرئيس لسلسلة من قصص النجاح الآسيوية، فقد انتهجت (النمور الاقتصادية الاربعة) كوريا الجنوبية وتايوان وهونجكونج وسنغافورة نهج اليابان،

وعندما بدأت الصين تنتبه الى ان الدول المجاورة لها اصبحت متقدمة عنها وقررت ان تلحق بها من خلال اطلاق برنامجها الخاص بالتحديث، لذلك نجحت الصين نجاحاً منقطع النظير من خلال تحقيق اعلى معدلات للنمو الاقتصادي تلتها الهند وانضمت اعداد اخرى من الدول الآسيوية الى مسيرة التحديث.

ولم تقف جهود التحديث عند الدول الآسيوية عير المسلمة بل امتدت الى العالم الاسلامي في غرب آسيا ايضاً، وما هي الا مسألة وقت حتى انتشرت الحداثة من الهند الى باكستان ثم الى ايران وقد تنتشر في مرحلة لاحقة الى كافة ارجاء آسيا خلال القرن الحادي والعشرين.

ويرى الكاتب ان على الغرب ان يغير مساره ويفكر في خياراته الاستراتيجية المستقبلية، والا فأنه سيواجه ازمة حقيقية في ادارة النظام العالمي وعليه يجب ان تتجه عقول الغرب الى التفكير في الحكمة الصينية التي تحول (الازمات الى حزمة من "المخاطر" و"الفرص"، فالمسيرة نحو الحداثة تمثل فرصة جديدة للغرب والعالم فاذا امكن للغرب ان يتعلم العمل ولا يقف ضد المسيرة الآسيوية فسوف يصبح القرن الحادي والعشرين افضل القرون في تاريخ البشرية.

يتناول الفصل الاول الموسوم بـ "السيناريوهات الثلاثة " الكيفية التي سوف يتطور به ا العالم خلال الخمسين سنة القادمة ان شاء الله، وهذه التصورات مبنية على استقراء الحقائق واتجاهات برزت بالفعل على السطح واول هذه السيناريوهات واكثرها احتمالاً هو ما اطلق عليه "المسيرة نحو الحداثة " فغالباً ما تكون الحداثة في الغرب مصاحبة لنزعة ثقافية او فنية اما في آسيا فهي تتعلق بالحصول على السلع المهمة، كالتلفزيون، والثلاجة والهاتف المحمول فهذه جنة الحداثة التي تتطلع الى دخولها الغالبية العظمى من سكان العالم الذين يودون خلق عالم افضل يمكنهم الاستمتاع فيه بالكثير من وسائل الراحة.

فكلما زاد عدد الاشخاص الذين ينضمون الى العالم الحديث اصبح العالم اكثر سلامة وامناً، وتفوق مزايا الحداثة المكاسب المادية فسوف يشعر المحرمون من الماؤى والمياه النظيفة والكهرباء بسعادة بالغة وامل في المستقبل عندما يحصلون على هذه الاحتياجات.

ويرى الكاتب ان المسيرة نحو الحداثة ستؤدي الى عالم أفضل تسوده القيم الاخلاقية وتؤدي الحداثة الى الخروج من نطاق الفقر المدقع وتقدم كوريا الجنوبية مثال على المجتمع الناجح الحديث، فضلاً عن ذلك الحداثة تؤدي الى ان يستفيد المجتمع عندما يخرج الناس من نطاق الفقر، كما يستفيد المجتمع عندما يخرج الناس من نطاق الفـقر حيث تنخفض معدلات الجريمة ويتحسن مستوى الصحة وينخفض معدل الوفيات وترتفع مستويات التعليم.

ويرى الكاتب ان اكثر النتائج الاخلاقية المهمة التي ستسفر عنها المسيرة نحو الحداثة هي وجود عالم اكثر استقراراً، فقمة الحضارة الانسانية لا يتم بلوغها عندما تتوقف الحروب بين الامم بل عندما نصل الى وقت ينعدم فيه أحتمال نشوب الحرب بين الامم، ويرى الكاتب ان هناك بالفعل بعض الامم التي حققت هـ ذا الانجاز فمثلاً لا يوجد أدنى احتمال لنشوب حرب بين الولايات المتحدة وكندا وكذا الحال يصدق على الدول الاعضاء في الاتحاد الاوروبي، والسبب الرئيس وراء عدم نشوب الحروب بين شعوب امريكا الشمالية واوروبا

هو وجود طبقة وسطى قوية ترغب بالعيش في سلام.

اما السينا ريو الثاني الذي يرى الكاتب فيه تطور العالم خلال الخمسين سنة القادمة هو "التراجع الى القلاع" بمعنى سيحدد رد فعل الغرب تجاه المسيرة الآسيوية نح و الحداثة مسار التاريخ . فهناك بديلان واضحان امام الغرب، اما الترحيب واستمرار العمل مع آسيا نحو انفتاح النظام العالمي او الشعور بالتهديد نتيجة لنجاح آسيا والبدء في التراجع والانغلاق السياسي والاقتصادي.

اما السيناريو الثالث هو "التحول نحو الحضارة الغربية"، فعند انتهاء الحرب الباردة كان لدى الغرب فكرة واضحة عن الكيفية التي سيكتشف بها التاريخ، وتمثل ذل ك بالخطب السياسية المهمة التي اد لى بها كبار الساسة العالميين مثل "جيمس بيكر" الذي كان يشغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة والذي تحدث فيها عن مجتمع جديد من الديمقراطيات يمتد من "فانكوفر الى فلاديفوستوك" وقد تجاهل اليابان والهند، في حين ان اليابان هي العضو الآسيوي الوحيد في النادي الغربي تم قبولها في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ومجموعة الدول السبع، كما تم استبعاد الهند وهي أكبر ديمقراطية في العالم الثالث وهذ ا يعني ان (لبيكر) رؤية تمثل تفكير عموم الغرب مفادها تكوين نادٍ قوي جديد لذوي البشرة البيضاء.

وتمثلت نشوة الولايات المتحدة والغرب بردود الفعل الايجابية تجاه طروحات "فرانسيس فوكوياما" والتي تمثل أفضل دليل على مشاعر الانتصار التي أنتابت كلاً من الولايات المتحدة واوروبا الغربية، فحسب وجهة نظر "فوكوياما" ان العالم قد وصل الى نهاية التاريخ بأنتصار الحضارة الغربية ومن ثم فان الطريق الوحيد امام تقدم باقي دول العالم هو الاحتذاء بالثقافة الغربية، ولكن وجهة نظر مؤلف الكتاب تنحصر بأن رؤية كل من "بيكر" و"فوكوياما" لن تتحقق، فلا يوجد الان وزير خارجية على قدر من السذاجة ليقول ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي هما فقط القوتان العظيمتان الان، كما لا يمكن حالياً لاي وزير خارجية امريكي ان يتحدث عن مجتمع جديد من الديمقراطيات يضم روسيا التي يحكمها "بوتين" والغرب لحد الان لا يرحب بتحليل ما حدث من أخطاء.

يتناول الفصل الثاني الموسوم بـ "أسباب صعود آسيا الآن" احصائيات رقمية توضح مساهمة القارة الآسيوية بالناتج المحلي الاجمالي العالمي مقارنة بما ق دمته دول اوروبا الغربية ابتداءً من القرن الاول بعد الميلاد مروراً بما حصل من تطور للدول الاوروبية مع الثورة الصناعية في عام ١٨٢٠ حيث انكمش نصيب قارة آسيا من الناتج المحلي الاجمالي ولكن في عقد السبعينيات من القرن المنصرم بدأت آسيا بأست عادة مكانته ا وتجسدت من خلال الدراسة التنبئو ية التي قدمتها مؤسسة "جولدمان ساكس" عن روسيا والهند والبرازيل والصين والتي تضمنت أنه بحلول عام ٢٠٠٥ ستكون ثلاثة من الاقتصادات الاربعة هي من الدول الآسيوية وهي بالترتيب الصين، الولايات المتحدة، الهند، اليابان، وعزا المؤلف عودة المجتمعات الاسيوية الى مكانتها الطبيعية تأريخياً في ترتيب المجتمعات والحضارات حول العالم الى ان الدول الآسيوية اكتشفت عناصر نجاح الغرب والتي كانت الاساس الذي مكن الغرب من التفوق في ادائه على المجتمعات الآسيوية طوال القرنين الماضيين، ويرى أن صعود الصين والهند الان جاء في وقت متأخر بالقياس باليابان التي

استوعبت اسباب النجاح الغربي منذ ما يقرب ١٥٠ عاماً، وافرد الباحث اقساماً وضح فيها عناصر نجاح الغرب والتي يمكن ان تستفاد منها الدول ا لآسيوية المتقدمة وهي كالاتي، اتبـاع اقتصاد السوق الحر، التقدم العلمي والتكنولوجي، مبدأ الجدارة والاستحقاق والذي يتضمن تكافؤ الفرص لكل فرد للتطور وا لاسهام في المجتمع، البراجماتية، ثقافة السلام والتي تتضمن استيعاب سكان دول شرق آسيا ثقافة السلام التي سادت بين الدول الغربية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والتي عدت عنصر اً اساسياً في نجاح الغرب، حكم القانون والذي يتضمن ان الجميع يخضع بما فيهم الحكام ومؤ سسات الدولة للمساء لة بعدل ومساواة عبر قضاء مستقل ونزيه وفعال وجاء تطبيق القانون في دول آسيا متأخراً عن الدول الغربية وجاء تطبيقه مدفوعاً بدواع اقتصادية وليس أخلاقية وقانونية وأخيراً التعليم والذي يعد من أهم عوامل نهضة القارة الاسيوية ولو كان بشكل متفاوت.

وجاء الفصل الثالث والموسوم بـ"لماذا لا يحتفي الغرب بنهضة آسيا؟ ليتضمن الامكانات الكبيرة المادية والمعنوية التي تمتلكها الدول الغربية، ويرى المؤلف ان الدول الغربية مثل كل الدول لها مصالح مادية واقتصادية وعسكرية حيث تحتل هذه المصالح أهمية كبرى ضمن اولوياتها ا لسياسية، ومع ان معظم الدول الغربية تتمتع بعلاقات جيدة مع معظم الدول الآسيوية فأنها تشعر بالاضطراب من نهوض دول آسيا، لأنها قد تعاني من بعض الخسائر المادية، والسبب في عدم أحتفاء الغرب بالنهو ض الآسيوي هو ان الغرب يرى بفلسفته التي تعود الى التقاليد الثقافية لليونان القديمة وروما المنبع الاهم لتنظيم سير البشرية فقد قدمت هذه الفلسفة المبادئ والمثل العليا وخاصة المتعلقة بالمساواة بين البشر كما ان الحفاظ على كرامة الفرد يعد من أعظم اسهامات الغرب للانسانية، وبالاستناد الى هذه الافكار تم تطوير حقوق الانسان مما أدى ال ى تحسن كبير في أسلوب الحياة في جميع أنحاء الغرب، كما ان الغرب وعن طريق تقدمه التكنولوجي قد قدم اسهامات عظيمة للبشرية وعليه يجد ا لغرب ان الفضل يعود لهم في ما يج ري من نهضة في آسيا، فهم يرون أنهم تحملوا لوحدهم لمدة خمسمائة عام عبء تحقيق التقدم والمعرفة والثروة البشرية.

وجاء الفصل الرابع والموسوم بـ "التخلي عن الحضارة الغربية، عودة التاريخ " ليشير الى الصورة السيئة التي يوسم بها المسلمون من قبل الغربيين في وسائل اعلامهم، على اعتبار ان الاسلام عقيدة متخلفة وهمجية وتدعو الى جميع المفاهيم الشريرة والبعيدة عن الانسان ية وان المسلمين مصدر الشر على البشرية، ونجد مصداق ذلك بالخطاب الذي القاه البابا "بنيديكت السادس عشر " والذي اقتبسته من أباطرة بيزنطة في القرن الرابع عشر والذي اساء فيه للاسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فهذه الذاكرة الانتقائية للغرب تنسى بسهولة فائقة الاسهامات الكبيرة للمفكرين المسلمين العقلانيين مثل (الفارابي) القرن العاشر (وابن سينا) القرن الحادي عشر والغزالي القرن الثاني عشر و "ابن خلدون " القرن الرابع عشر في بناء اوروبا، فالاخيرة تخدع نفسها بشأن الماضي، فالمسلمون يشاركون اوروبا والغرب القيم والاسس ال جوهرية ويرى المؤلف ان كلاً من الصين والهند لهما حضارتان متميزتان وهما قد قدمتا للبشرية اسهامات لا تقل عن الغرب أه مية من حيث القيم والثقافة والعلوم والفنون والحرية، فالصين لها تجربة انعزالية في الاساس وعند العودة للحضارة الصينية

نجد ان هناك حالتي الافتخار والقوة وان هذه الحالة ستتطور بوصفها حضارة بديلة، على الرغم من أنها قد تكون حضارة منفتحة ومتسامحة على غرار عصر أسرة تانج، اما الهند من ناحية اخرى فهي مكان التقاء لحضارات الشرق والغرب فقد كانت تستوعب باستمرار موجات الثقافة الغربية مع تمسكها بقيمها وحضارتها العريقة، فللعقل الهندي القدرة على رؤية العالم بالوان كثيرة ومختلفة.

اما الفصل الخامس والموسوم بـ "عدم الكفاءة الغربية : الكفاءة الاسيوية " فيتضمن ان الولايات المتحدة الامريكية والغرب هما أحد الاسباب الرئيسة في جعل عالمنا المعاصر غير آمن وهذا يناقض الطروحات الامريكية وخاصة ما قاله الرئيس الامريكي السابق "جورج بوش" حيث أكد أن العالم قد اصبح مكاناً غير آمن . وفي محاولة لمعرفة مصادر عدم الامان يفترضون ان المشاكل تأتي من خارج الولايات المتحدة الامريكية ولا تحدث داخلها وان باقي العالم هو المسؤول عن اختلاق المشاكل بينما يناضل الغرب لتقديم الحلول لتجاوز المشاكل العالمية، ولكن الحقيقة وكما يرى المؤلف ان دوراً كبيراً يلعبه الغرب في أختلاق الكثير من هذه المشاكل العالمية وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال الآتي هل يتعامل الغرب مع التحديات العالمية الرئيسة بكفاءة؟ ومن هذه التحديات استحواذ فكرة على العقل الغربي هي فكرة التهديدات الاسلامية الارهابية، ومعذلك فقد فشل الغرب في كل من حالة العراق وافغانستان او على وشك الفشل، ومن الناحية الاقتصادية يمكن ملاحظة أن مفاوضات تطبيق اتفاقية التجارة الدولية التي أسفرت عناه جولة الدوحة قد أوقفت للمرة الاولى منذ الحرب العالمية الثانية، كما يلاحظ أن ظاهرة الاحتباس الحراري يجري التعامل معها بشكل سيء، وعلى الرغم من أن الغرب هم من جاء بمعاهدة حظر الانتشار النووي الا ان هناك مخاوف لديهم تجاه وصول القوى الارهابية للتكنولوجية النووية، والدول التي لا تروق للولايات المتحدة والغرب كايران، وعليه من الخطأ ان يجد الغرب نفسه مصدراً للحلول وليس للمشاكل ويتناسى أسباب سوء ادارته للمشاكل العالمية في حين ستصبح الدول الآسيوية أكثر كفاءة في التعامل مع التحديات الاقليمية والعالمية وهذا تساؤل يطرح نفسه؟ ففي حالة الصين يسدفيدون ولا يعانون من نهضتها، بمعنى أن جيران الصين استطاعوا استيعاب نهضتها حيث استطاعت تقاسم رخاءها وازدهارها بطريقة فعالة، اما دول الاتحاد الاوروبي فقد كان له اثر ايجابي قليل خارج حدوده فقد أتسعت الفجوة الاقتصادية بين شمال أفريقيا والاتحاد الاوروبي مع مرور الوقت، هذا يعني ان كفاءة الدول الاسيوية أضحت متميزة وبدأت تتوسع خارج نطاقها الجغرافي..

واخيراً يتناول الفصل السادس الموسوم بـ "المتطلبات الاساسية لقيادة العالم : المبادئ : والشراكات والبراجماتية"، حيث تتضمن عملية إعادة هيكلة النظام العالمي امور متعددة الابعاد ، فهي عملية تتميز بالصعوبة والسهولة في ذات الوقت فأوجه الصعوبة تتمثل في غياب القيادة العالمية اللازمة للقيام بهذه المهمة، فالدول الغربية جزء من المشكلة والدول الآسيوية غير مستعدة بعد.

اما اوجه سهولة هذه العملية فتتمثل في وضوح المسار الذي يجب اتباعه وعدم الحاجة الى تبني مبادئ جديدة للحكومة العالمية، اذ ان افضل الممارسات المطبقة محلياً يمكن بل ينبغي تطبيقها دولياً، فأفضل الممارسات المطبقة محلياً يمكن تطبيقها دولياً.

{ }

وفي ظل غياب القيادة العالمية يجب اللجوء الى المبادئ التي تم تجربتها سابقاً لايجاد نظام أجتماعي وسياسي وأفضل ثلاثة مبادئ هي الديمقراطية، حكم القانون، والعدالة الاجتماعية، وكما نهضت آسيا من خلال تطبيق عناصر النجاح الغربي يمن ان يصبح العالم مكاناً افضل من خلال تطبيق هذه المبادئ الغربية الثلاثة، كما يمكن تكملة هذه المبادئ بتعزيز المشاركة وتطبيق البراجم اتية، ومن الناحية الفعلية يوجد أربعة مرشحين فقط يمكنهم قيادة العالم الا وهم الولايات المتحدة الامريكية، الاتحاد الاوروبي والصين والهند ولا توجد أي جهة اخرى لديها القدرة او التاريخ الذي يمكنها من القيام بذلك الدور.

واخيراً يعد هذا الكتاب من الكتب المهمة والا ستقرائية لما قد تؤول اليه الاوضاع على الساحة العالمية وخصوصاً الدول الآسيوية الناهضة كالصين والهند ودول جنوب شرقي آسيا التي تتنافس اليوم بشدة مع الولايات المتحدة الامريكية والغرب في مجالات التحديث والتطوير والنمو والتنمية، فنهضة آسيا سيكون لها نتائج ايجابية على الصعيد العالمي.